

الإسم : ****

النص : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في كل يوم يخرج إلينا مشكك يدعي حب التقريب بالمذاهب ليشككننا في ديننا وأخرها هي عن كيفية خروج مولانا المهدي أبا صالح عليه السلام فقد خرج شاب ثلاثيني عندنا في فرنسا يتحدث عن ان المهدي عليه السلام لن يخرج محارباً لأحد ومدافعاً عن أحد وراح هذا الشاب المدعي للعلم والثقافة الدينية ينفي قصص السبي والجواري وأنها خرافة لا حقيقة وعندما أخبرته ان النبي والأئمة عليهم السلام كان لهم من السبايا نصيب أنكر ونفى بل وأخبرته أن المهدي عليه السلام سيخرج ليدافع عنا نحن شيعته الصادقين و سيعود الزمان كما كان في عهد النبوة والأئمة من قتال وحروب ومن ثم سبي للنساء والأطفال ، اجاب أن العالم قد تطور وتقدم ولا مجال لحدوث مثل هذه الأمور كما أنه أنكر أن النبي قد ملك يمين وأن الأمام علي عليه السلام قد كانت له جواري و انه تزوج زوج مؤقت وكان له من الزوجات ٢٨ ومن الأولاد ٢٨ فأنكر بشدة وللأسف أن هذا الشاب يحوم حوله كثيرون ، فكيف نرد عليه... أرجو أن تفصل لنا

٢- هل النبي عليه السلام كان اميا لا يجيد القراءة والكتابة و ماذا عن الإمام علي عليه السلام

٣- كم كان عمر السيدة الطاهرة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام والرضوان يوم زواجها واستشهادها...

والسلام عليكم

الموضوع الفقهي والعقائدي: خروج إمامنا المعظم الحجة القائم أرواحنا فداه مشروط بالقضاء على الظالمين / السبي والجواري ليس خرافة في عهود الأئمة المطهرين سلام الله عليهم / تزوج النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام من جواري ولهم منهن أولاد / لم يكن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أمياً بل كان عالماً بالقراءة والكتابة وبكل لغة/ استشهدت سيدتنا الصديقة الكبرى الزهراء بتول سلام الله عليها وعمرها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعين يوماً.

بسمه جلت أسماؤه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجواب على السؤال الأول بشقوقه المتعددة: دعوى أن إمامنا المعظم الحجة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وسلام الله عليه " لن يخرج محارباً لأحد ومدافعاً عن أحد " ليس لها وجود في آيات الكتاب الكريم وفي سنة النبي وآله الطيبين عليهم السلام.. كما ليس لها وجود في أخبارنا الشريفة ولا هي من عقائدنا الشيعية بل هي خلاف الضرورة العقلية والشرعية وخلاف ما جاء به الأنبياء والأوصياء والأولياء سلام الله عليهم من نصرته المظلوم ودفع الظالم ورفع لواء التوحيد والحق.. فإذا لم يكن من مهامه نصرته المظلوم ودفع شرور الظالمين فأئى معنى حينئذٍ لخروجه المشروط بدفع الظلم والجور وبسط العدل والإنصاف!! فقد تواترت الآيات والأخبار الشريفة بأنه سلام الله عليه يملأ الأرض قسطاً وجوراً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وقد تنوعت الأخبار الشريفة بذكر المهام التي سيقوم بها منها انه سينتقم من أعداء الله تعالى ويطهر الأرض من الشرك ومن كل جور وظلم ويزيل ملك الجبابرة والطواغيت ويحيي السنة ويميت البدعة ويدخل عدله كل بيت... ونحن نحيل هذا المدعي الجاهل إلى كتب الأحاديث المتعلقة بظهور إمامنا الحجة القائم عجل الله فرجه الشريف ككتاب غيبة النعماني وغيبة الطوسي والكافي والوافي وجامع أحاديث الشيعة ومنتخب الأثر وبحار الأنوار ونبايع المودة وكفاية الأثر وكمال السدين وإلزام الناصب والنجم الثاقب.. ففي هذه الكتب مئات الأخبار الكاشفة عن انه سيخرج لينتقم

من أعداء الله وأعداء رسوله وأعدائهم وينصر المظلوم ويرد معالم الدين بطمس البدع وإماتة الجور والعدوان.. ولن يكون ذلك بالسلام والمسالمة مع أعداء الله والظالمين الذين يبغضون خروجه لعلمهم بأنه لن يتركهم يظلمون ويجورون ويسفكون الدماء ويغتصبون الاعراض ويسرقون الأموال ويعيشون في الأرض فساداً... بالإضافة إلى أنه سلام الله عليه سيقوم صرح العدالة بإقامة الحدود على المستخفين بأحكام الله والمعتدين على عباد الله المستضعفين... بل إن قيامه منوط بنصرة المستضعفين وهو ما تواترت به النصوص المفسرة لقوله تعالى □ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ □ القصص ه .

ونحن نذكره ببعض الأخبار الدالة على خروجه لينتقم من أعداء الله وأعداء الحجاج الطاهرين سلام الله عليهم منها ما في الكافي بإسناده عن أحمد عن محمد بن الحسن عن العبيدي عن ابن أسباط عن سيف بن عميرة عن محمد بن حمران قال قال أبو عبد الله عليه السلام : « لما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان ضجت الملائكة إلى الله بالبكاء وقالت يفعل هذا بالحسين صفيك وابن نبيك - قال فأقام الله لهم ظل القائم عليه السلام وقال بهذا أنتقم لهذا ».

وفي أمالي الطوسي : المفيد ، عن أحمد بن الوليد ، عن أبيه ، عن الصفار ، عن محمد بن عبيد ، عن ابن أسباط عن ابن عميرة ، عن محمد بن حمران قال : قال أبو عبد الله عليه السلام لما كان من أمر الحسين بن علي ما كان ضجت الملائكة إلى الله تعالى وقالت : يا رب يفعل هذا بالحسين صفيك وابن نبيك ؟ قال : فأقام الله لهم ظل القائم عليه السلام وقال : بهذا أنتقم له من ظالميه ».

وروى الصدوق في علل الشرائع في باب العلة التي من أجلها سمي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والعلة التي من أجلها سمي سيفه : ذا الفقار ، والعلة التي من أجلها سمي القائم قائما ، والمهدى مهدياً) :

بإسناده عن حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن محمد الدقاق ومحمد بن محمد بن عصام رضي الله عنهما قال : حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال : حدثنا القاسم بن العلا قال حدثنا إسماعيل الفزاري قال : حدثنا محمد بن جمهور العمى ، عن ابن أبي نجران عن ذكره عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر " عليه السلام " يا بن رسول الله لم سمي علي عليه السلام أمير المؤمنين وهو اسم ما سمي به أحد قبله ولا يحل لاحد بعده ؟ قال : لأنه ميرة العلم بمتار منه ولا يمتار من أحد غيره ، قال فقلت يا بن رسول الله فلم سمي سيفه ذا الفقار ؟ فقال " ع " : لأنه ما ضرب به أحد من خلق الله إلا افقره من هذه الدنيا من أهله وولده وأفقره في الآخرة من الجنة قال : فقلت يا بن رسول الله فلستم كلكم قايمن بالحق ؟ قال : بلى قلت فلم سمي القائم قائما ؟ قال : لما قتل جدي الحسين عليه السلام ضجت عليه الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب وقالوا : إلهنا وسيدنا أتغفل عن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك ، فأوحى الله عز وجل إليهم قروا ملائكتي فوعزتي وجلالي لاننتقم منهم ولو بعد حين ، ثم كشف الله عز وجل عن الأئمة من ولد الحسين " عليه السلام " للملائكة فسرت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي فقال الله عز وجل بذلك القائم انتقم منهم » .

وفي غيبة النعماني بإسناده عن أخبرنا علي بن الحسين ، قال : حدثني محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن حسان الرازي ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن عبد الله بن بكير ، عن أبيه

، عن زرارة ، عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : " قلت له : صالح من الصالحين سمه لي - أريد القائم (عليه السلام) - ، فقال : اسمه اسمي . قلت : أيسر بسيرة محمد (صلى الله عليه وآله) ؟ قال : هيهات هيهات يا زرارة ، ما يسر بسيرته . قلت : جعلت فداك ، لم ؟ قال : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سار في أمته بالمن ، كان يتألف الناس ، والقائم يسير بالقتل ، بذلك أمر في الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا ، ويل لمن ناواه ."

ودعوى المدعي بأن الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم لم يتزوجوا بالجواري وأن ملك اليمين لا حقيقة له فهي دعوى جاهلية لا تمت إلى الحقيقة بصلة ويكفي في تكذيبها بأن أغلب ائمتنا الطاهرين سلام الله عليهم قد تزوجوا بجواري حئن من بلاد الكفار بواسطة السي . واكثر شاهد على ما نقول ما دلت عليه الأخبار بأن بعض امهات أئمتنا الطاهرين عليهم السلام كَنَصَّ جواري كمولاتنا نرجس أم إمامنا المعظم الحجة القائم عليهما السلام وأم الإمام السجاد شهريانو حفيدة كسرى وأم الإمام الكاظم عليهما السلام وأم الإمام الرضا عليهما السلام وأم الإمام الجواد عليهما السلام وأم الإمام الهادي عليهما السلام وأم الإمام العسكري عليهما السلام... فأغلب أمهات الأئمة الطاهرين عليهم السلام هنَّ من الجواري المسبيات فاشترهن الأئمة الطاهرون عليهم السلام وتزوجوهن وقد دخلوا في الإسلام المشروط بولايتهم والبراءة من أعدائهم... فإنكار ذلك يعدُّ مكابرة وخروجاً على الأخبار والضرورة والإجماع فصاحبه جاهل ومكابر للحقيقة فلا يستحق النظر في كلامه.... وكذلك دعواه بنفي وجود أولاد لأُمير المؤمنين عليه السلام من جواري متعدّدات ويروي المجلسي رحمه الله عن كتاب قوت القلوب: «أنه تزوج بعد وفاتها بتسع ليال ، وانه تزوج بعشر نسوة . وتوفي عن أربعة : أمامه وأمها زينب بنت النبي ، وأسماء بنت عميس ، وليلى التميمية وأم البنين الكلابية ، ولم يتزوجن بعده . وخطب المغيرة بن نوفل أمامة ، ثم أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث فروت عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : انه لا يجوز لأزواج النبي والوصي أن يتزوجن بغيره بعده ، فلم يتزوج امرأة ولا أم ولد بهذه الرواية وتوفي عن ثماني عشرة أم ولد ، فقال (عليه السلام) : جميع أمهات أولادي الآن محسوبات على أولادهن بما ابتعتن به من أمثائن ، فقال : ومن كان من إمامه غير ذوات أولاد فهن حرائر من ثلثه .»

فالمشهور شهرة عظيمة بأن أمير المؤمنين تزوج أربع نسوة بالنكاح الدائم هنَّ رضي الله عنهن الآتي: أمامة بنت زينب ربيبة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله - أسماء بنت عميس رضي الله عنها - وليلى التميمية - أم البنين عليها السلام . وبقية أزواجه هنَّ من الجواري وقد خلّذ منهن جميعاً ما بين سبع وعشرين ولداً إلى الخمس والثلاثين على اختلاف الروايات...

روى صاحب المناقب لابن شهر آشوب : توفي عن أربعة : أمامة - وأمها زينب بنت النبي - وأسماء بنت عميس ، وليلى التميمية ، وأم البنين الكلابية... والظاهر أن أمامة هي بنت زينب ربيبة النبي صلى الله عليه وآله كما أشرنا إلى ذلك في كتابنا ، أهي المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد 9 وهو رأي ثلثة من علماء الإمامية.

والكلام بإيجاز حول ثلاث من أزواجه أشهرهن :

أ : أمامة بنت أبي العاص : هي بنت زينب ربيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) . وكانت زينب قد تزوّجت أبي هالة وليس كما يذهب عليه البعض من أن زوجها كان أبا العاص قبل الإسلام . وأبو العاص هو ابن أخت

خديجة (عليها السلام) .. وأمامة كان يحبها النبي (صلى الله عليه وآله) ويلطفها . وتزوجها الإمام (عليه السلام) بوصية الصديقة الكبرى سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين الزهراء البتول (عليها السلام) إذ أوصته أن يتزوجها ، وقالت : إنما تكون لولدي مثلي .

وعلى فرض أن زينب كانت ابنة النبي صلى الله عليه وآله فإنها ابنته بالرضاعة حيث لا يبعد أن تكون مولاننا الصديقة الكبرى خديجة عليها السلام قد أرضعتها فصارت أمها بالرضاع فهي حقيقة ابنة النبي بالرضاع لا بالنسب لأن السيدة خديجة ربتها وهي رضية حيث توفت أمها وهي رضية ، جمعاً بين الروايات الدالة على أنها ابنته وبين ما لم يثبت كونها ابنته بالنسب .. والله العالم .

ونقلت بعض الروايات أنّ الإمام (عليه السلام) أولدها محمداً الذي كان يسمّى محمداً بن عليّ الأوسط .

ب : أسماء بنت عميس الخنعمية : وهي من النساء العظيمات في التاريخ الإسلامي ، وكانت من أوليات النساء اللاتي آمنن بالنبي (صلى الله عليه وآله) .

تزوجت أسماء جعفر بن أبي طالب ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، وأنجبت منه ثلاثة أولاد ؛ هم : عبد الله ، وعون ، ومحمد... ولما استشهد جعفر تزوجها أبو بكر ، فأولدها محمداً البطل المخلص الوفي والثابت على ولاء أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)... وكانت رفيقة مولاننا المعظمة الصديقة الكبرى الزهراء (عليها السلام) وصاحبته ، وأعانت الإمام (عليه السلام) على غسلها (عليها السلام) ويروى بأنها اقترحت التابوت على مولاننا الزهراء عليها السلام باعتباره ساتراً لجنان الميت فلا يظهر للناس... إلا أن الصحيح هو أن مولاننا الزهراء عليه السلام قد أمرتها بالتابوت المذكور وقد ايدتها أسماء بأنه من التوابيت المشهورة في بلاد الحبشة .

وبعد وفاة أبي بكر تزوجها الإمام (عليه السلام) ، فأولدها يحيى وظلّت مع الإمام (عليه السلام) حتى استشهاده... وهي من رواة الحديث ، وممن روت حديث ردّ الشمس .

ج : أمّ البنين بنت حزام : وكانت من الشخصيات المتألفة في التاريخ الإسلامي . وتنسب إلى أسرة لا نظير لها في الشجاعة والشهامة والقتال . ولما عزم الإمام (عليه السلام) على الزواج بعد شهادة سيّدة نساء العالمين سلام الله عليها على يد الطاغية عمر بن الخطاب الزهراء (عليها السلام) دعا عقيلاً وطلب منه أن يختار له امرأة من قبيلة معروفة بالشجاعة لتلد له فارساً فقال له بما ورد في الخبر يأمر أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلاً في أن ينتخب له امرأة جليلة قائللاً له : " « أنظر إلى امرأة قد ولدتها الفحول ، لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً » .

وقد حاول بعض المشككين في أن ينفي عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه جهله بالموضوعات لما طلب من أخيه أن يختار له امرأة ولدته الفحول من العرب... متجاهلاً عصمته المطلقة بالأحكام والموضوعات طباقاً للأدلة والبراهين من الكتاب والسنة ومنها آية التطهير وقد فصلنا العصمة المطلقة في كتابنا الجليلين (شبهة غلقاء المعصوم نفسه في التهلكة ودحضها والفوائد البهية) .

والملاحظ هنا أن أمير المؤمنين علياً « عليه السلام » لم يكن بحاجة إلى علم عقيل « رحمه الله » لعلم الإمام عليه السلام بكل شيء باعتباره حجة الله على خلقه ، ويفرض على الحجة أن يعلم بكل ما هو متعلق بالعباد ،

فهو ليس بحاجة إلى أخيه ولا إلى غيره ليعلمه بأنسب وأحوال العرب ، بل كان المقصود من الطلب من أخيه هو تعريف الناس بمقام تلك الصفوة التي سيكون لها النصيب الأوفر في نصرته الإمام الحسين « عليه السلام » في كربلاء، وأن ذلك بمثابة إخبار غيبي عن ولادة هؤلاء الصفوة ، وعن المهمات الجسام التي سوف يضطلعون بها ، في نصرته هذا الدين... كما أن فيه إشارة إلى أن التهيؤ لهذه المواقف والتضحيات قد بدأ قبل ولادة يزيد وابن زياد....

يضاف إلى ذلك : أنه أراد التنويه بعلم عقيل بالأنساب ، وردّ ما سوف يكيده به الأمويون وأعوانهم ، وتبرئته من الاتهامات الباطلة التي سيوجهونها إليه حين يكشف للناس مخازي أعداء أمير المؤمنين علي « عليه السلام » . .

مع يقيننا بأن أمير المؤمنين علياً « عليه السلام » كان أعرف من عقيل في كل شيء بمقتضى آية التطهير والأخبار الكثيرة التي دلت على عظم علم الإمام عليه السلام والتي منها علمه بالأنساب وفصل الخطاب . . ولم يكن بحاجة إليه في اختيار من يشاء من النساء . . ولكنه أراد أن يعطي كل ذي حق حقه . . وأن يعلم الناس : أن لا غضاضة في الرجوع إلى أهل الخبرة ، لإظهار فضلهم ، والإعلان بالتكريم لهم .

ولما كان عقيل عالماً بارعاً في الأنساب فقد اختار أم البنين عليها السلام وذكر أن آباءها من أشجع العرب وأثبتهم وأشدّهم قتالاً. وكانت أم البنين شاعرة مُفوّهة ، حليمة . أرسلت أولادها الأربعة إلى كربلاء في ركب الإمام الحسين (عليه السلام) ، وكانت تمضي وقتها في البقيع ؛ تنشد الشعر في رثاء أولادها باكية عليهم ، والناس يجتمعون ويتألمون ويبكون ، ويطلعون على قبائح بني أمية وممارساتهم الدنيئة . وهكذا استطاعت أن تبليغهم نداء أولادها وهدفهم .

والمشهور أن عدد نساء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليهما عن الإمام الباقر « عليه السلام » : «كان له أيضاً سبع عشرة سُريّة . بعضهن أمهات ولد». فيكون المجموع حوالي عشرين زوجة ثلاثة منهن أو أربعة زوجات بالعقد الدائم والبقية كما أشار خير مولانا الإمام الباقر سلام الله عليه.

أما أولاد أمير المؤمنين وإمام المتقين سلام الله عليهم فالمشهور شهرة عظيمة بين المؤرخين على العدد ثمانية وعشرين وقد حاول الشيخ ري شهري الجمع بين روايات الشيعة وروايات المخالفين القائلين بأن عدد أولاد أمير المؤمنين ثلاث وثلاثون ولداً.... ولكن الجمع لا يتوافق مع قواعد الجمع العربي المطلوب فيه كون الروايات المتعارضة من مصدر واحد وليس من مصدرين مختلفين: أحدهما شيعي والآخر أشعري... فجمع الشيخ الريشهري غير صحيح ولا يتوافق مع قواعد الجمع الروائي المنصوص عليه في المباني الرجالية الشيعية... فالصحيح ما ذكره مشهور الإمامية، فقد ذكر الشيخ المفيد أنّ عددهم ثمانية وعشرون ولداً ذكراً وأنثى بإضافة محسن عليه السلام لأن البعض شكك بوجود ولد اسمه محسن ولكن هذا التشكيك من نفثات النواصب ، فالصحيح بالدليل والبرهان وجود ولد اسمه محسن وهو من قتله عمر لما اقتحم دار الصديقة الكبرى ورفسها على بطنها وضغطها بين الحائط والباب فأجهضت ولدها محسن عليه السلام ولعن الله قاتله عمر بن الخطاب... فيما ذكر ابن سعد أنّهم يبلغون أربعة وثلاثين ولداً ، وذكر المزي أنّ عددهم تسعة وثلاثون ولداً... والمعتبر عندنا ما رواه المفيد من أعلام الإمامية ولا عبرة بغير علماء الإمامية.

والخلاصة: إن المؤرخين اختلفوا في عدد أولاد أمير المؤمنين « عليه السلام » على أقوال هي الآتي:

ف قيل : سبعة وعشرون / وقيل : ثمانية وعشرون / وقيل : ثلاثة وثلاثون / وقيل : أربعة وثلاثون / وقيل : خمسة وثلاثون / وقيل : تسعة وثلاثون .

ولعل سبب الاختلاف هو اختلاط الأسماء بالألقاب والكنى . . ومهما يكن من أمر ، فإن أولاده « عليه السلام » من السيدة الزهراء « عليها السلام » ، خمسة ، هم :

١ - الإمام الحسن « عليه السلام » .

٢ - الإمام الحسين « عليه السلام » .

٣ - الصديقة الصغرى الحوراء زينب « عليها السلام » .

٤ - الصديقة الصغرى أم كلثوم « عليها السلام » .

٥ - محسن عليه السلام الذي قتل خلال المحرم على بيت الصديقة الكبرى سيّدة نساء العالمين الزهراء البتول « عليها السلام » ، فور استشهاد أبيها رسول الله « صلى الله عليه وآله » .

وهناك أربعة أولاد من فاطمة بنت حزام الكلابية (أم البنين) ، وهم :

١ - العباس .

٢ - عثمان .

٣ - عبد الله .

٤ - جعفر .

وهؤلاء الأربعة قد استشهدوا جميعاً في كربلاء . .

وقيل : أبو بكر وعبيد الله . أمهما ليلى بنت مسعود الدارمية ، استشهدوا أيضاً في كربلاء مع الإمام الحسين « عليه السلام » . ومحمد الأصغر ، أمه أم ولد ، واسمها زرقاء ، استشهد أيضاً مع الإمام الحسين « عليه السلام » في كربلاء ويحيى وعون ، أمهما أسماء ، بنت عميس . ومحمد بن الحنفية ، وأمّه خولة بنت جعفر بن قيس . ومحمد الأوسط ، وأمّه أمامة ، وعمر ، (والأصح: عمرو) وأمّه الصهباء التغلبية (أم حبيب) .

وأما البنات الشريفات فهنّ الآتي :

رقية ، وأم الحسن ، وأم هاني ، وفاطمة ، وزينب الصغرى ، وميمونة ، ونفيسة ، وخديجة ، وأمامة ، ورملة الكبرى ، وجمانة ، وأم سلمة ، ورقية الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأم الكرام ، وأم جعفر ، ولا يبعد أن تكون سكينه المدفونة في داريا بدمشق إحدى بناته « عليه السلام » .

وهنا يأتي السؤال التالي: لماذا سمى أمير المؤمنين عليّ سلام الله عليه بعض أولاده بأسماء أعدائه؟!.

نشير هنا إلى إشكال أثاره المخالفون دفاعاً عن الصحابة المناقذين وهو التالي :

ورد في الخبر أن أمير المؤمنين عليّاً « عليه السلام » قد سمى أولاده باسم مناوئيه أبي بكر وعمر وعثمان . .لذا قد قد يقال : إذا كان أبو بكر وعمر وعثمان قد هاجموا بيت سيّدة نساء العالمين الزهراء البتول « عليها السلام » ، وارتكبوا في حق أمير المؤمنين علي « عليه السلام » وزوجته الطاهرة الزكية الزهراء « عليها السلام » ما هو معلوم ، فكيف يسمي أمير المؤمنين علي « عليه السلام » أولاده بأسمائهم ؟ ! ألا يدل ذلك على حبه لهم ، وعلى عدم صحة ما يدعى من هجومهم على بيت سيدتنا المطهرة الزهراء البتول « عليها السلام » ، وضربها وإسقاط جنينها وما إلى ذلك ؟ !

ويجاب عن الإشكال بما يلي :

أولاً : إن تسمية إنسان ولده باسم شخص مع العلم بأنه قاصد لذلك ، لا تكشف عن محبته لذلك الشخص إلا إذا ثبت بالتصريح منه ، أو بأن يطلع الله تعالى أنبيائه على أن سبب تسميته باسمه هو حبه له ، ولا شيء غير ذلك...! مثل تحاشي التعرض لبعض المشكلات ، أو الطمع في الحصول على بعض الامتيازات . . أو نحو ذلك .

ثانياً : قد يكون السبب في التسمية باسم بعينه هو استلطاف ذلك الاسم ، وإن كان لا يُستلطفُ بعض من سُمي به ، فنحن مثلاً لا نحب الظالمين والمنحرفين ، حتى لو كان اسمهم محمد ، وعلي ، وجعفر . . ولكننا نسمي أولادنا بهذه الأسماء ، لأنها تدغدغ مشاعرنا ، من جهات أخرى . .

ثالثاً : من الذي قال : إن أمير المؤمنين عليّاً « عليه السلام » قد سمى ولده عمر ، حباً بالخليفة عمر بن الخطاب ؟ ! فلعله سماه بهذا الاسم حباً بعمر بن أبي سلمة ، ربيب الرسول « صلى الله عليه وآله » ، الذي شهد حرب الجمل مع إمام المتقين علي « عليه السلام » ، وكان عامله على البحرين ، وعلى فارس . وكان من ثقاته وكان يحبه كما أنه سمى ولده عثمان حباً لعثمان بن مظعون . بل ما أكثر اسم عمر بين الصحابة ، وكذلك الحال في سائر الأسماء .

رابعاً : ورد : أن الإمام عليّاً « عليه السلام » قال عن سبب تسميته لولده بعثمان : إنما سمّيته باسم أخي عثمان بن مظعون.

خامساً : بالنسبة لأبي بكر ابن أمير المؤمنين عليه السلام نقول : قيل : هذه كنية لمحمد الأصغر ، ابن أمير المؤمنين « عليه السلام » . وقيل : هو كنية لعبد الله [أو عبید الله] بن أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال أبو الفرج : أبو بكر بن علي بن أبي طالب ، لم يعرف اسمه.

وليس ثمة ما يدل على : أن الإمام عليّاً « عليه السلام » هو الذي كنى ولده بما . . فلعل ذلك الولد هو الذي تكنى بهذه الكنية ، ولعل غيره كناه بها لسبب ، أو لآخر . .

سادساً: لم يثبت لدينا كما لم يثبت لدى المحققين عند اعلام الإمامية بأن أمير المؤمنين عليه السلام بأنه سمي بعض أولاده بأسماء أعدائه، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض أجوبتنا عن هذه المسألة العويصة وقلنا هناك بأن التسمية لعلها من صنع المخالفين ليحكموا الشبهة في قلوب الشيعة... فلترجع.

بالإضافة إلى ذلك: أن هناك نصوصاً تؤكد على أن الأمهات كنَّ يسمين أولادهن ، ويخترن الأسماء التي تروق لهن كأسماء الآباء أو الإخوة ، أو غير ذلك ، وبذلك كله يعلم : أنه لا مجال للقول على سبيل الحتم والجزم ، بأن الإمام علياً « عليه السلام » ، هو الذي سمي أبناءه من غير الزهراء « عليها السلام » ، بهذا الاسم أو ذاك . .

أما أبناء السيدة الزهراء « عليها السلام » ، فقد سماهم رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، كما يعلم بالمراجعة.

وبذلك يعلم أيضاً : أن قول بعض البتريين المشككين بعداوة أمير المؤمنين سلام الله عليه وآله لأعدائه من أصحاب السقيفة : إن الإمام علياً « عليه السلام » أراد بتسميته أولاده بهذه الأسماء أن يؤكد على الوحدة بين المسلمين ، لأنها موافقة لأسماء الخلفاء الثلاثة . . غير ظاهر الوجه بل هو محض الكذب ، ولا سيما مع النصوص التي حددت أسباب تلك التسميات .

كما أن إنكار المدعي في أن يكون النبي الأعظم صلى الله عليه وآله قد نكح بملك اليمين . . مردود بزوجه بملك اليمين مارية القبطية وهو موضع وفاق بين أعلام الطائفة، فها هو الشيخ الطوسي رحمه الله قال في كتابه المبسوط في باب ما يختص به النبي صلى الله عليه وآله: "فأما نكاح الأمة [أي الزواج الدائم] فلم يجز له بلا خلاف وأما وطئ الأمة فكان جازماً له ، مسلمة كانت أو كتابية ، بلا خلاف ، لقوله تعالى " أو ما ملكت أيمنكم " ولقوله عز وجل " وما ملكت يمينك " ولم يفصل ، وملك عليه السلام مارية القبطية وكانت مسلمة ، وملك صفية وهي مشركة ، وكانت عنده إلى أن أسلمت فأعتقها وتزوجها . . . فإن مارية القبطية أم ولده كانت من الهدايا والصفايا أهداه إياها ملك الحبشة فأولدت له إبراهيم عليهما السلام وهو الذي نعتته عائشة بإبن الزنا ونزلت بتبرأته وتبرأة أمه مارية آيات البراءة من الإفك... كما أن له جارية اخرى هي ريحانة الخندقية وكان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله يقسم لهما مع أزواجه... والسرية جمعها سراري وهنّ الأزواج بملك اليمين وقد عقد له فقهاء الإمامية باباً خاصاً وقد تزوج النبي بإثنتين منهن وهما مارية وريحانة الخندقية.. وبهذا يندفع ما ادعاه أخونا المشتبه.. والسلام.

السؤال الثاني: هل النبي عليه السلام كان أمياً لا يجيد القراءة والكتابة و ماذا عن الإمام علي عليه السلام .؟

الجواب: الثابت بالقطع واليقين بأن أمير المؤمنين سلام الله عليه وآله كان عالماً بالقراءة والكتابة إلا أن الإشكال في علم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فهل كان يعلم بالقراءة والكتابة أم لا ؟ ونحن قد فندنا مزاعم المخالفين وبعض من سايرهم من علماء الإمامية لغايات وحدوية أو لقلّة بضاعتهم العلمية في كتابنا الجليل الموسوم بـ(الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية/الجزء الاول/ تحت عنوان: أمية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله) وقد قلنا هناك بأن الروايات الدالة على أمية رسول الله صلى الله عليه وآله قليلة جداً بل هي خبر واحد لا

يوجب علماً ولا عملاً وهو يقابل الأخبار المتواترة الكاشفة عن علم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالقراءة والكتابة، ولا يجوز شرعاً ترجيح الخبر الواحد وتقديمه على الأخبار المتواترة ولا سيّما أنه موافق لأخبار المخالفين الذين لا يباليون بعصمة النبي وآله عن الجهل بالقراءة والكتابة باعتبارهما من مهام النبوة فلا يجوز الإعتقاد بجهله بهما... وها هنا نحن سنذكره لكم لتتميم الفائدة لكم وللعلماء وللمؤمنين وهو الآتي:

لوجه الخامس: أمية النبي:

ذهب جمهور العامة، وجماعة من الإمامية إلى أنّ أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم كون النبي الأكرم أمياً لا يحسن القراءة والكتابة قبل البعثة وبعدها، مستدلّين على ذلك بأنّ ما يمتلكه القرآن من معارف عظيمة، وحقائق هامة، تفوق قدرة البشر المتعلمين والمتخصصين، فكيف بمن لا يعرف شيئاً من الكتابة وعلوم الكلام، فيكون القرآن بهذا أحد علائم إعجاز القرآن الكريم.

مضافاً إلى ظواهر بعض الآيات والأخبار القابلة للحمل على غير الظاهر؛ وقالوا: إنّ هدف الآيات التي تنفي التلاوة والكتابة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو قلع جذور الريب والشك من قلوب المبطلين، إذ لو كان يزاول القراءة والكتابة، لصحّ ما قيل من أنّه عليه الصلاة والسلام كان قد حصل على أحوال الماضين، وأقاصيص الأولين بعد سبره لغورها مما يُلقى الريب في قلوب ضعفاء الناس بنبوته مفتوحاً بمصرعيه (٢).

لكن يردّ على هذا:

إذا كان الإعجاز القرآني متوقفاً على أنّ ننسب إلى النبي الأمية والجهل فهذا من أوهن وأضعف الاستدلالات على المطلب، وذلك لأنّ الأمية ليست من اللوازم الذاتية لإعجاز القرآن المشتمل على العلوم والمغيبات التي يعجز عن معرفتها فطاحل المتعلمين والعلماء والعباقرة، فالقول بمعرفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقراءة والكتابة لا يقدح بإعجاز القرآن كما توهمه البعض، وأخذوه أخذ المسلمات حتى بات القائل بمعرفة النبي لهما من الفساق والفسّاق.

ولو كانت القراءة والكتابة كفيّلتين بأنّ يأتي الآخرون بمثل هذا القرآن، لما كان سبحانه قد تحدّى الجميع، المتعلمين وغيرهم على حدّ سواء، وليست المسألة مورد اتفاق عند المجمعين بل كلّ ما في الأمر أنّ الإجماع دالّ على أنه لم يكن يقرأ ويكتب، لا أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ويشهد له خروج جماعة عن مورد الإجماع كالمفيد والمرضى وغيرهما ممن ينص على أن المسألة ليست من موارد الإجماع، مضافاً إلى أنّ الإجماع مستند على ظواهر بعض الأخبار القابلة للتأويل.

ونحن هنا لن نسهب بالبحث في هذه المسألة لأنّ ذلك يتطلب كتاباً مفرداً فيها، وإنما نستعرض أمرين مهمين:

(الأمر الأول): تحرير محلّ النزاع ودعاوى النافين لمعرفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقراءة والكتابة والإيراد عليها.

(٢) معالم النبوة: ص ٣٢٥ بتصرف. وبحار الأنوار: ج ١٦ ص ٨٣؛ نقلاً عن المرتضى في تنزيه الأنبياء.

(الأمر الثاني): كلمات بعض الأعلام.

الأمر الأول: وفيه تحرير محلّ النزاع:

لم يختلف اثنان من علماء المسلمين على عدم تعاطي النبي الأطهر للقراءة والكتابة قبل البعثة وبعدها بمعنى أنّه ﷺ لم يكن يتردد على المعلمين ليقتبس منهم تعلّم القراءة والكتابة، وهذا مما لا نزاع فيه، لكنّ النزاع بين المتأخرين هل كان جاهلاً بالقراءة والكتابة أم لا؟ فالنزاع حاصلٌ في أصل علمه بالقراءة والكتابة، وليس في أصل التعاطي. فذهب فريقٌ إلى تبّي كونه ﷺ جاهلاً بهما، والأكثر نفوا عنه ذلك وهو الحقّ كما سوف أثبتته بالبراهين.

وقبل بيان دعاوى المثبتين، لا بدّ من تنقيح المسألة ووضعها في الإتجاه العلمي الصحيح بمعنى أنّ المسألة في أيّ خانةٍ نضعها؟ أيّ خانة الفقه أم العقيدة؟

التحقيق أنّها داخله في الخانتين (الفقه والعقيدة)؛ أمّا اعتبارها فقهيةً فمن حيثية وجوب التعلّم عليه تماماً كبقية الوظائف أو الواجبات العينية الأخرى التي يجب على كلّ فردٍ تعلّمها كركوب الخيل في تلك الأزمنة حيث إنّ الجهل بذلك يؤدي إلى الإخلال بأمر المعاش، ويستلزم العسر والحرج. وكذلك الجهل بالقراءة والكتابة فإنّه يؤدي إلى الإخلال بأمر المعاش ويستلزم الحرج، فلا بدّ من رفعه بالتعلّم، بغضّ النظر عن الطريق المؤدّي إلى التعلّم، هل هو طريقٌ بشريٌّ أم ربّانيٌّ... فالواجب حينئذٍ اتصافه بمعرفة القراءة والكتابة كمعرفة بعض الموضوعات الواجبة على عمّة الأفراد لا سيّما الذكور منهم.

وأما كونها عقيديةً فمن حيثية أنّ العقل والشّرع يحكمان بوجود معرفته بالقراءة والكتابة؛ لأنّ جهله بهما يؤدي إلى الانتقاص منه والتعيب عليه والازدراء والاستخفاف به، وكلّ ذلك قبيحٌ يجب أن يتنزه عنه بضرورة العقل ودلالة الآيات الدافعة عنه الجهل والنقص، لا سيّما وأنّ الجهل بهما رجسٌ نزهه الله تعالى عنه بمقتضى آية التطهير وآية الاصطفاء والولاية؛ لأنّ التطهير والاصطفاء يستلزمان دفع الرجس عنه. ومن أبرز مصاديقه هو الجهل بالقراءة والكتابة؛ فدعوى أنّه كان جاهلاً بهما يستلزم إثبات النقص فيه والجهل إلى نفسه وهو خلف كونه طاهراً مطهراً عن العار والجهل والنسيان والخطأ والمعاصي...

والعجب العجاب من دعوى الشيخ جعفر السبحاني بأنّ "رسول الله كان أمياً لا يحسن القراءة والكتابة قبل دعوته مدّعياً وجود مصلحة في ذلك وهو أمرٌ لم يختلف عليه اثنان من الأمة..."^(١)، ويكفي بطلان هذه الدّعوى أنّ ثلّة من علماء الإمامية نفوا ذلك نفيّاً قاطعاً، لا سيّما من المتقدّمين: الشيخ المفيد والطوسي، ومن المتأخرين: المجلسي والمازندراني صاحب شرح الكافي، وثلّة غيرهم...

(١) معالم النبوة: ص ٣٢١.

وبالجملة؛ فإنّ المثبت لجهل الرسول الأكرم ﷺ بالكتابة والقراءة لا يملك أدلّة واضحةً وصريحةً على دعواه كما سوف ترى، بل غاية ما تمسك به إنّما هو مجملات ومتشابهات تشبّث بها لإثبات دعواه متغافلاً ومتجاهلاً أدلّة الطرف الآخر العقليّة والنقليّة، وإليك دعاواهم مع الإيراد عليها.

• دعاوى المثبتين لجهل الرسول الأعظم ﷺ بالقراءة والكتابة:

الملفت للنظر أنّ الشيخ السبحاني المتحمّس جداً لجهالة النبي ﷺ بالقراءة والكتابة نراه يستدلّ على دعواه بالآيات دون أن يتعرّض للأخبار، والسّرّ في ذلك أنّ مصادرنا خالية من الأخبار الصحيحة لإثبات دعواه، بل العكس هو الصحيح؛ إذ إنّ أخباراً صحيحةً تدلّ على علمه بالقراءة والكتابة، لذا اضطر صاحبُ الدّعوى أن يؤوّلها لتتناسب مع اعتقاده بجهل النبي ﷺ بالقراءة والكتابة. وها نحن نستعرض دعاويه واحدةً تلو الأخرى، ثمّ نورد عليها بإذن الله تعالى تباعاً:

الدّعوى الأولى:

"أنّ النبي ﷺ كان أمياً لا يحسن القراءة والكتابة قبل بزوغ دعوته لمصلحة صرح الله بها في الكتاب العزيز..."، ثمّ قال: "وسوف يوافيك بيانها"، يقصد المصلحة المذكورة في الآيات التي استعرضناها:

يرد عليه:

١. المصلحة التي استفادها من الآيات ليست نصّاً شرعياً حتى يجب على الآخرين التعبّد بها، بل لا يعدو كونها فهماً خاصّاً بالشيخ السبحاني دون أن يكون الآخرين ملزّمين به، ولا يجوز له أن يفرض رأيه على غيره ممّن لا يرتعي اعتقاده... فكما أنّ فهمه حجّةٌ عليه فقط، فكذا فهم الآخرين للنص القرآني حجّةٌ عليهم أنفسهم دونه، مع أنّ فهم غيره موافقٌ لحكم العقل بتنزّه النبي ﷺ عن الجهل بالقراءة والكتابة، وكذا موافقته للآيات والأخبار النافية لوصمة الجهل والنقص.

٢. إنّما يصحّ فهمه واجتهاده في المسألة فيما لو لم يتعارض مع الأدلّة المحكمة المنزّهة للنبي الأكرم ﷺ، وإلاّ فإنّه اجتهد في مقابل النص، وهو كذلك لأنّ صاحب الدّعوى جعل فهمه للآيات الجملة مقيداً ومبيناً لها دون الأخبار التي اعترف في مطاوي بحثه بصحتها ووثاققتها، وإذا ما كان فهم كلّ فقيهٍ مخصّصاً أو مقيداً أو موضّحاً دون الآيات والأخبار. إذاً. لانتفت فائدة المقيدات والمخصّصات والمبيّنات الواردة في الآيات والأخبار، وبالتالي ينتفي الغرض من وجودها، فيستلزم ذلك اعتبار صدورها لغواً لا يصحّ صدورهم عن الأئمّة الأطهار (عليهم السلام)، في حين أنّ الأخبار دلّت على المدّعى، فلا يجوز طرحها أو حتى التوقف عن العمل بها في مقابل العمل بالرأي والظنّ...

٣. دعوى أنّه كان جاهلاً بالقراءة قبل البعثة دون ما بعدها ليس عليه شاهدٌ من آيةٍ أو رواية، فلا

أدري من أين جاء بهذا الفصل هو والسيد المرتضى!!!

الدّعوى الثانية:

وهي مؤلفة من عدة آيات ادعى إفادتها على مطلوبه هي التالي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، قال الشيخ السبحاني: [سبحان الله ما أصرح كلامه وأوضح دلالاته، هل تجد من نفسك ريباً أنه بصدد نفي تلاوة أي كتاب عن نبيه الأكرم قبل نزول الوحي عليه، وكتابة أي صحيفة عنه، أو ليس من القواعد الدارجة بين أئمة الأدب، ان النكرة في سياق النفي تفيد انتفاء الحكم عن كل أفرادها وتعطى شمول السلب، كقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ (الحج ١٨) وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ فأدخل النفي على النكرة وجعلها في سياقه، فإذا المراد من التلاوة المنفية، تلاوة مطلق الكتاب كما أن المراد من الخط المنفي عنه، تسطير أي كتاب وترسيم أي صحيفة تقع في ذهن السامع، فالضمير بالفعل (لا تخطه) عائد إلى "كتاب" وكأنه جلّ شأنه قال وما كنت تخط كتاباً. وقد وافاك أن مثل هذا الكلام لوقوع النكرة في سياق النفي يفيد عموم النفي، فالله سبحانه نفى عن نبيه مطلق التلاوة والكتابة قبل بعثته.

ثم إنّه عزّ اسمه، علل سلب هذا الأمر عن نبيه بمصلحة أولي العزم، وهي نفي ريب المبطلين وشكّ المشكّكين، إذ لو كان الرسول ﷺ في برهة من عمره تالياً للكتب، وممارساً للصحف، لساغ للبسطاء من أمته والمعاندين منهم أن يرتابوا في رسالته وقرآنه، يلوكون في أشداقهم بأنّ ما جاء به من الصحف والزبر والسور والآيات، إنما تلقاها من الصحف الدينية وقد صاغها وسبكها في قوالب فصيحة، تهنّز منها النفوس وترتاح إليه القلوب، فليست لما يدعيه من نزول الوحي على قلبه، مسحة حق أو لمسة صدق.

وقد حكى سبحانه هذه الفرية الشائنة عن بعض المشركين فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان ٤-٥) فالله سبحانه لقلع جذور الشك عن قلوب السذج من الأئمة، والمبطلين منهم، صرفه عن تعلّم الكتابة حتى يصبح لنبيه أن يتلو على رؤوس الأشهاد قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يونس - ١٦) يعني يا معشر العرب: أنتم تحيطون خيراً بتاريخ حياتي فيني تربيت بين ظهرايكم ولبثت فيكم عمراً يناهز الأربعين، فهل رأيتموني أتلو كتاباً أو أخطّ صحيفة، فكيف ترموني بالإفك الشائن: بأنه أساطير الأولين اكتتبتها، ثم افتربتها على الله، وأعاني على ذلك قوم آخرون. فلو لم يبق النبي أمياً لا يحسن القراءة والكتابة بل كان قارئاً و كاتباً وممارساً لهما على رؤوس الأشهاد، لما أمكن له أن يتحدى الأمة العربية وفي مقدمتهم صناديد قريش بقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الفرقان - ٦) فلأجل تحقيق هذه المصلحة المهمة،

نشأ النبي في أحضان قومه وشب وترعرع إلى أن ناهز الأربعين وهو أمي لا يحسن القراءة والكتابة، ولو كان وقتئذ قارئاً وكاتباً وهم أميون لراحت شبهتهم في أن ما جاء به نتيجة اطلاع ودرس وأثر نظر في الكتب. [١].

يرد عليه:

(١). لقد اعترف ضمناً بقوله: ".فهل رأيتموني أتلو كتاباً أو أخطّ صحيفةً فكيف ترموني بالإفك الشائن..".؛ لكنّه ما لبث أن نقض ما قاله بقوله: " فلو لم يبق النبي أمياً لا يحسن القراءة والكتابة بل كان قارئاً وكاتباً وممارساً لهما على رؤوس الأشهاد، لما أمكن له أن يتحدى الأمة العربية وفي مقدمتهم صناديد قريش بقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (الفرقان _ ٦) فلأجل تحقيق هذه المصلحة المهمّة، نشأ النبي في أحضان قومه وشب وترعرع إلى أن ناهز الأربعين وهو أمي لا يحسن القراءة والكتابة". ففي كلامه اضطراب وتشويش، مع أنه يمكن للنبي أن لا يتعاطى القراءة والكتابة مع معرفته بهما، وهذا ما أشارت إليه الآية المتقدّمة ودلّت عليه الأخبار، فلا ملازمة بين إثبات كونه من عند الله تعالى وبين كونه جاهلاً بالقراءة والكتابة.

(٢). إن إثبات الجهل بالقراءة بدعوى النفي الداخلة على النكرة وهو يفيد نفي تلاوة مطلق الكتاب، وكذلك يراد من الخط المنفي عنه، تسطير أي كتاب وترسيم أي صحيفة لا يدلّ على مطلوبه، بل هو مصادرة عليه؛ لأننا متفقون على أنّ النبي الأكرم ﷺ كما تفيد الآية لم يقرأ أيّ كتاب، سواء أكان كتاباً سماوياً أو أرضياً، فهو أمرٌ لا غبار عليه لكنّه لا يفيد جهل النبي ﷺ بالقراءة والكتابة، فشتان ما بينهما!! فقد حكم صاحب الدعوى على النبي ﷺ بالجهل بالقراءة من خلال عدم تلبّسه فعلاً بها وهو أمرٌ غريبٌ صدوره منه!!!

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨-١٥٩].

(١) معالم النبوة: ص ٣٢١-٣٢٢.

إستدلّ الشيخ السبحاني بهذه الآية أيضاً لإثبات جهل النبيّ الأعظم ﷺ بالقراءة والكتابة، ثمّ استشهد على مراده بكلمات علماء العامّة من المفسّرين واللغويين القائلين بجهل النبيّ بهما، كما استشهد بما رواه البخاري عن النبيّ ﷺ قوله: "إنّا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" .. وها هي عبارته بكاملها:

[قد وصف سبحانه نبيّه في هذه الآية بخصال عشر وهي: أنه رسول، نبي، أمي، مكتوب اسمه في التوراة والإنجيل ومنعوت فيهما بأنه، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يحل لهم الطيبات، يحرم عليهم الخبائث، يضع عنهم الإصر، ويرفع عنهم الأغلال.

وهذه الصفات التي تضمنتها الآية في حق النبي الأكرم واضحة حتى الوصف الذي هو موضوع البحث (الأمي) إذ الأمي حسب تنصيب الكتاب المبين هو من لا يقدر على القراءة ولا يحسن الكتابة كما يقول سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (البقرة_٧٨).

قوله سبحانه: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ توضيح لقوله أميون أي منهم أمة منقطعون عن كتابهم لا يعلمون منه إلا أوهاماً وظنوناً يتلوها عليهم علماءهم، الذين يحرفون كتاب الله وكلماته عن مواضعها، ويحسب هؤلاء السذج أنه كتاب المنزل إليهم من رهم. ولذلك قال سبحانه في الآية التالية: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة_٧٩). فلو كانوا عارفين بالكتاب قادرين على قرائته وتلاوته لما اغتروا بعمل المحرفين، ولميزوا الصحيح من الزائف، غير أن أميتهم وجهلهم به حالت بينهم وبين أميتهم.

قال الرازي: إنه تعالى وصف محمداً في هذه الآية بصفات تسع إلى أن قال: الصفة الثالثة كونه أمياً، قال الزجاج: معنى الأمي الذي هو على صفة أمة العرب، قال عليه الصلاة والسلام: إنّا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون، والنبي كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أمياً.

وقال البيضاوي: الأمي لا يكتب ولا يقرأ، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله هذا، وإحدى معجزاته.

هذا وقد أصفقت على ما ذكرنا من المعنى للأمية معاجم اللغة المؤلفة في العصور الزاهرة بأيدي الخبراء وفي مقدمهم: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى عام ٣٩٥ صاحب "مقاييس اللغة" وغيرها من الكتب الممتعة ودونك كلامه:

"أم" له أصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب وهي الأصل، والمرجع، والجماعة والدين قال الخليل: كل شيء تضم إليه ما سواه مما يليه، فإن العرب تسمي ذلك أما ومن ذلك أم الرأس وهو الدماغ، أم

التنائف أشدها وأبعدها، أم القرى مكة وكل مدينة هي أم ما حولها من القرى، وأم القرآن فاتحة الكتاب وأم الكتاب ما في اللوح المحفوظ، وأم الرمح لواءه وما لف عليه، وتقول العرب للمرأة التي ينزل عليها أم مشوى، وأم كلبة الحمى، وأم النجوم السماء، وأم النجوم: المجرّة... إلى أن عدد كثيراً من التراكيب فقال: الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلة الناس لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه. ومحصل كلامه أنه ليس للأمم مادة واحدة وهي الأصل لغيرها ومنه يتفرع غيرها فأم الإنسان أم لأنها أصله وعرقه وهكذا...

وهذا الزمخشري إمام اللغة والبلاغة فسر قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ تبأهم لا يحسنون الكتاب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها. [١].
يرد عليه:

(١). لقد جاءت في نسبة الأمي معانٍ متعدّدة، فتعيين أحدها عن غيرها لا بدّ أن يكون بقريّة قويّة وقطعيّة بحيث تقطع الطريق على أيّ احتمالٍ في مقابلها، وأقوى القرائن هو ما دلّت عليه الأخبار والآيات.

وبعبارةٍ أخرى: إنّ القرائن الداخلية في الآيات الدالة على الأمي والأميين، وكذا القرائن الخارجية اللغوية والإخبارية، كلّها شواهد قويّة لاختيار وتقديم أحد المعاني على غيرها، وما دلّت عليه الأخبار يكون هو المتعيّن، وما فعله صاحب الدّعوى أنّه لم يأخذ بقرائن الأخبار — مع أنّ ذلك متعيّنٌ بحسب موازين الترجيح الدلّالي في عمليّة الإستنباط — بل ما حصل لديه هو العكس، وهو أمرٌ غيرٌ سديدٍ.

(٢). المعاني المتعدّدة لفظ "الأمي" متساوية الاحتمالات من الناحية اللغوية؛ لأنّ اللغوي همّه نقل الألفاظ على ما وجدته في الاستعمالات والمحاورات ولا دخل له في تعيين ظواهر الألفاظ بالوضع أو بالقريّة، وعليه فلا يصحّ الرجوع إلى كتب اللغة من دون الرجوع إلى القرائن المعيّنة لأحد المعاني دون الأخرى؛ لأنّ كتب اللغة لم توضع لبيان الموضوع له بل لبيان ما يُستعمل فيه اللفظ حقيقةً كان أو مجازاً، وإلّا لزم كون جميع الألفاظ المستعملة في اللغة العربية إلّا التّادر منها مشتركاً لفظياً، لأنّ اللغويين يذكرون لفظٍ واحدٍ معانٍ كثيرة، وهو مقطوع ابلبطلان، وذكر معنى من المعاني أوّلاً لا يدلّ على كونه هو المعنى الحقيقي وإلّا لكان عليه ذكر القريّة في الألفاظ المشتركة لتدلّ على أنّ المعنى الثاني أيضاً معنًى حقيقيٌّ لا مجازيٌّ.

بهذا يتضح أنّ صاحب الدّعوى لم يعتمد على قريّة قاطعة تبين المعنى الحقيقي للفظ "الأمي" بل كلّ ما هنالك أنّه اعتمد على المعنى المحتمل في الآية والمتوافق مع المعنى اللغوي المحتمل والمحمل من دون

اللجوء إلى قرينة الأخبار تثبت مدّعاؤه أو تصرف المعنى المحمل إلى المعنى المفصّل الحقيقي للفظ المتنازع عليه.

وبالجملة؛ فلو دار الأمر بين الأخذ بقول اللغوي في أحد احتمالاته وبين قول المشرّح الحقيقي، يتعيّن الأخذ بقول الثاني لأقربيته وأقربيته إلى الواقع التشريعي، ولكون المشرّعين الحقيقيين كاشفين عن بيان المعنى الموضوع له اللفظ فلا يجوز تحطيمهم والعمل بغير ما يقولون، وفي موردنا المتنازع عليه ثمة معانٍ محملة للفظ "الأمي" أكثرها يتوافق مع القرينة القطعية والأخبار النافية عن النبي ﷺ جهله بالقراءة والكتابة، فلا يجوز طرح أكثر المعاني اللغوية المتوافقة مع القرينة القطعية المذكورة، وتقدم المعنى الشاذ عليها، فالشاذ متروك لا يجوز العمل به والركون إليه؛ وإليك أخي القارئ تلّكم المعاني المحتملة في لفظ "الأمي":

المعنى الأول: الأمي هو المنسوب إلى الأمة المرحومة، أو لأنّ الأمة نُسبت إليه ﷺ لكونه السبب في رحمتهم، فنسب إليهم مه أنّه الأصل في الرحمة، فهو الأمي، وهم الأميون المرحومون به.

المعنى الثاني: الأمي هو المنسوب إلى الأمة وهي الشريعة والدين والطريقة، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ قاله اللحياني، وقُرئ على إمّةٍ وهي الطريقة من أمت. فالنبي المكرّم أمي لكونه صاحب شريعة ودين وطريقة إلهية بخلاف المكيين فكانوا على طريقة آبائهم يعبدون الأصنام ولا شريعة أو كتاب لهم، لذا يُقال: فلان لا أمة له أي لا دين له ولا نحلة، قال الشاعر: وهل يستوي ذو أمةٍ وكفور؟^(١).

المعنى الثالث: الأمي هو المنسوب إلى الإمّة (بكسر الألف الثانية) وهي التّعمة والملك وغضارة العيش^(٢)، فيكون النبي ﷺ إمياً بمعنى صاحب مُلكٍ إلهيٍّ كما أنّ الأميين المكيين أصحاب مُلكٍ دنيويٍّ، وشتان ما بين الملّكين، هذا بناءً على كسر الألف "إمي" و"إميين" الواردتين في الآيات بضمّ الألف.

المعنى الرابع: الأمي هو المنسوب إلى الأم (بفتح الألف الثانية) بمعنى القصد، فيكون النبيّ الأعظم الأمي أي المقصود، وأهل مكة الأميين أي المقصودون من غيرهم، وهذا المعنى كان شائعاً في أهل مكة باعتبارهم المقصودين من الجهات والشعوب بوجود الكعبة في بلادهم وهي مقصودة من قِبَل عامّة الشعوب، فالنبيّ محمّد ﷺ هو المقصود، والمكيون هم المقصودون.

(١) لسان العرب: ج ١٢ ص ٢٤.

(٢) لسان العرب: ج ١٢ ص ٢٤.

المعنى الخامس: الأمي هو المنسوب إلى الأمة وذلك لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ قال الأخفش: يريد أهل خير دين^(٣). وهو مروى عن أئمتنا الطاهرين (عليهم السلام)، فيكون المراد من الأمي هو نبينا ﷺ، ويُراد من الأميين: المكيون الموحدون الذين ترعرع بينهم نبينا الأعظم ﷺ أمثال آبائه الطاهرين والموحدين من بني هاشم كسادتنا الكرام: عبد المطلب وعبد الله وأبي طالب وآمنة بنت وهب وخديجة أم المؤمنين وفاطمة بنت أسد وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأخوته وأخواته وأعمامه كحمزة والعباس وغيرهم ممن لا يمكننا إحصاؤهم، فهؤلاء مقصودون بلفظ الأميين، فيكون انتساب المكيين الكافرين إلى المكيين المؤمنين من باب المجاز والمشاكلة الظاهرية، فيكون اللفظ مستعملاً في معنيين وهو جائز على الأرجح عندنا كما هو عند من سبقنا من المحققين.

المعنى السادس: الإمي وهو المنسوب إلى الإمامة (بكسر الألف الثانية أيضاً) وهي بمعنى الائتتمام بالإمام، يقال: فلان أحق بإمامة هذا المسجد من فلان أي بالإمامة^(١)، قال ابن منصور: الإمامة: الهيئة في الإمامة والحالة يقال: فلان حسن الإمامة أي حسن الهيئة إذا أم الناس في الصلاة، وعليه فيكون الرسول الأعظم إمي أي إمام، والإميون المكيون هم الأئمة، ويراد من الأئمة صنفان: أئمة الدين ويقصد بهم الموحدون المكيون في زمن بعثة النبي الأكرم ﷺ، وأئمة الضلال الذين كانوا في عصره، فقد أرسله الله تعالى في الأميين المكيين سواء الموحدين منهم أو الكافرين.

وقد جاء في القرآن الكريم أن الأئمة صنفان: أئمة هدى وأئمة ضلال؛ حيث قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤٢].

المعنى السابع: الأمي منسوب إلى الأمة بمعنى الرجل الذي لا نظير له، ونبينا الأعظم لا نظير له إلا أهل بيته ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾، وأهل مكة لا نظير لهم في الضلال وسفك الدماء.

المعنى الثامن: الأمي منسوب إلى الأمة بمعنى القرن من الناس؛ يقال: قد مضت أمم أي قرون، وأمة كل نبي هي: من أرسل إليهم من كافر ومؤمن، قال الليث: كل قوم تُسبوا إلى نبي فأضيفوا إليهم فهم فهم أئمة، وقيل: أمة محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم: طل من أرسل إليه ممن آمن به أو كفر، وقال الليث أيضاً: وكل جيل من الناس هم أئمة على حدة^(١).

المعنى التاسع: الأمي هو المنسوب إلى الأمة وهي الجيل والجنس من كل حي وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٩]،

(٣) لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٤.

(١) لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٦.

ومعنى قوله: ﴿إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَالِكُمْ﴾ هو أنّ الله تعالى خلقهم وتعبدهم بما شاء أن يتعبدهم من تسييح وعبادة علمها فهم ولم يُفَقِّهنا ذلك، وكلّ جنس من الحيوان أُمَّة، وفي الحديث: "لولا أنّ الكلاب أُمَّة من الأمم لأمرت بقتلها"، وفي رواية أخرى: "لولا أنّها أُمَّة تسيح لأمرت بقتلها" يعني بها الكلاب (١).

المعنى العاشر: الأمّيّ هو المنسوب إلى الأُمَّة وهي معلّم الخير، قال الفراء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال: أُمَّة أي معلّم للخير، فيكون المراد من كون نبيّنا صلى الله عليه وآله أمياً أي كونه معلّم للخير، ويكون المراد من كون المكيين أميين الموحّدين هم المعلّمون للخير، وأمّا غيرهم من الكافرين فهم معلّمون للشر والظلم.

المعنى الحادي عشر: الأمّيّ هو المنسوب إلى الأمّ الوالدة لأنها أصله من جهة، ولأنّ الولد يقصدها ويتعلق بها، وكذلك هي تتعلّق بوليدها، فهذا المعنى أخذ فيه شدّة التعلّق والمحبة، ومن هذا القبيل ورد بالمستفيض بأنّ السيدة المطهّرة فاطمة أمّ أبيها، فيكون النبيّ الأعظم ﷺ أمياً باعتبار أمومته للمؤمنين به وبأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، فهو أمّيّ لهم، وهم أميون تابعون له، فيكون هذا المعنى أحد مصاديق الأميّة، وإنّ شئنا قلنا له أنّه أحد بطون القرآن الكريم، بل هو المتعيّن لما جاء في مسلم بن قيس عن الإمام عليّ (عليه السلام) قال: "نحن الذين بعث الله فينا رسولاً يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة" (٢).

المعنى الثاني عشر: الأمّيّ منسوب إلى الأم بمعنى الأصل، فأمّ كلّ شيء: أصله وعماده، وأمّ القوم: رئيسهم، ومن ذلك قال الشنفرى: وأمّ عيال قد شهدت تقوئتهم. وأمّ الكتاب: فاتحته لأنّه يُبتدأ بها في كلّ صلاة، وأمّ الكتاب أصل الكتاب لكونها أصلاً لكلّ آية محكمة من آيات التشريع والأحكام والفرائض، وقيل: إنّ أمّ الكتاب هي اللوح المحفوظ، والآيات المحكمات هنّ أمّ الكتاب كما في سورة آل عمران/الآية السابعة. من هنا يقال للقيط: لا أمّ لك، ومكة أمّ القرى أي أصلها لأنها توسّطت الأرض ولأنّها قبلة جميع الناس يؤمونها، وقيل سمّيت بذلك لأنها كانت أعظم القرى شأناً (٣).

وبهذا المعنى يتضح أنّ يكون الرسول الأعظم هو أصل الأشياء واصل النبوات وهو ما أكّدته الأحاديث المتواترة أنّه وأهل بيته (عليهم السلام) العلة الغائية لخلق الكون، ولولاهم لما خلق الأفلاك، فحينئذ يكون النبيّ ﷺ أصل كلّ شيء، ويكون الأميون إمّا أنهم أهل مّة مؤمنهم وكافرهم، فقد بعثه الله تعالى فيهم يتلو عليهم آياته: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٣]، وإمّا أنهم الأنبياء والأوصياء

(١) لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٧.

(٢) تفسير البرهان: ج ٥، ص ٣٧٥ ح ١٠٧٢٠.

(٣) لسان العرب: ج ١٢، ص ٣٢.

والأولياء ﷺ فأرسل إليهم النبي الأعظم في عالم الميثاق كما يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٧]، فهو وأهل بيته ﷺ هم النُّذُرُ الْأُولَى، فهو من النُّذُرِ من أهل بيته المطهَّرين صلوات ربِّي عليهم أجمعين.

المعنى الثالث عشر: الأُمِّي منسوب إلى مَنْ لا يكتب، فهو على جبلته، قال أبو إسحاق: معنى الأُمِّي المنسوب إلى ما عليه جبلته أنه أي لا يكتب، فاكتابة مكتسبة، فكأنه نُسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه، وكانت الكُتَّاب في العرب من أهل الطائف تعلَّموها من رجلٍ من أهل الحيرة، وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنباء. وفي الحديث: إنا أمة لا نكتسب ولا نحسب، أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلَّموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى، وفي الحديث: بُعثت إلى أمة أمية، قيل للعرب الأميون لأنَّ الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة... (١).

الخلاصة:

إتضح بما قدّمنا من تلكم التعاريف لكلمة "أُمِّي" والتي بلغت ثلاثة عشر معنى، إثنا عشر منها تتحد فيما بينها على معني واحد يتوافق مع الأدلة القطعية الدالة على تنزيه النبي الأعظم ﷺ عن الجهل والنقص إلا معني واحد يثبت الجهل له وهو المعنى الثالث عشر، فهل يتصور عاقلٌ الأخذ بمعني واحد في مقابل إثني عشر معني؟! اللهم نعم عند مَنْ لا يملك درايةً أو تقوى تمنعه من النسبة المشؤومة على رسول الله ﷺ!!!

وأكثر هذه المعاني عليها شواهد من الآيات والأخبار لا سيّما المعنى الثاني عشر الذي ورد فيه الكثير من الأخبار الصحيحة، لكن مَنْ في قلبه مرضٌ تجاهلها واعتمد على مراسيل المخالفين وهرطقاتهم مع أنّ ثلثة منهم استنكروا جهل النبي ﷺ بالقراءة والكتابة، ومّت يُؤسّف له أنّ بعض علماء الشيعة كانوا أكثر تزمّتاً من غيرهم، وليس ذلك عجباً بعد أن حدّثنا الله تعالى بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٨].

• الأخبار المؤيدة للمعنى الثاني عشر:

المعنى الثاني عشر جامعٌ لكلّ المعاني السابقة عليه والتي اعتقدُ شخصياً أنّها مصاديق متعدّدة له، أو هي بطون لظاهرة لا سيّما وأنّ لكلامهم ظهورٌ وبطونٌ تصل إلى السبعين كما جاء في الأخبار الشريفة عنهم ﷺ، وبالتالي فلا يمكن التغاضي عنها لأجل معني واحد يتوافق مع الهوى والباطل، وترجيحه على

(١) لسان العرب: ج ١٢، ص ٣٤.

تلکم المعاني يُعتبر سفهاً علمياً واستحساناً أشعرياً نصّت الأدلّة على تحريمه وتغليظ الاستنكار على مرتكبيه... .

والأخبار _ التي هي قرائن قطعيّة على علم النبيّ الأعظم بالقراءة والكتابة . كثيرة جداً بلغت التواتر، وقد تغاضى عنها بعض^(١) ممّن في قلبه مرضٌ، وسيعلم الذين ظلموا محمّداً وآل محمّدٍ أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين... والأخبار هي الآتية:

(الخبر الأوّل): صححية هشام بن سالم.

عن ابن الوليد عن سعد بن عبد الله، عن ابن عيسى أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعد ومحمّد بن خالد البرقيّ، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن الإمام المولى أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يقرأ الكتاب ولا يكتب^(٢).

(الخبر الثاني): صحيحة أبان بن عثمان:

الصدوق عن أبيه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن الحسن بن زياد الصيقل قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان ممّا منّ الله عز وجل على نبيّه صلى الله عليه وآله أنّه كان أمياً لا يكتب ويقرأ الكتب^(١).

ملاحظة:

الصّحیحتان المتقدّمتان دلّتا على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقرأ الكتاب ولا يكتب، والفرق بينهما أنّ الثانية أضيف إليه أنّه كان أمياً، ولا يضرّ بمعرفته بالكتابة لأنّ من يقرأ يكون قادراً بالملازمة العقليّة على الكتابة.

(إن قيل): إنّ كان يقرأ بتعليم جبرائيل له بإرشاده إلى نطق الحروف.

(قلنا): ليس على ذلك سندٌ أو دليلٌ يُعوّل عليه، فالأصل عدمه، مضافاً إلى محذور احتياجه إلى

الملك الأدنى منه بالفعل والرّتبة!!

(الخبر الثالث): صحيحة ابن عمّار:

عن عليّ بن إبراهيم القميّ، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن الإمام المولى أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

(١) رغم كثرة الأخبار فقد اقتصر الشيخ جعفر السبحاني على اثنين منها هما رواية جعفر بن محمّد الصوفي ومرفوعة علي بن أسباط، والسرّ

واضح عند أولي البصائر!!!

(٢) بحار الأنوار: ج١٦، ص ١٣٢ ح ٦٦؛ نقلاً عن العلل: ج١ ص ١٥٣ ح ٦.

(١) علل الشرائع: ج١، ص ١٥٣ ح ٧. وبحار الأنوار: ج١٦، ص ١٣٢ ح ٦٧.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿[الجمعة: ٣]﴾؛ قال عليه السلام: كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتابٌ من عند الله ولا بعث إليهم رسولاً فنسبهم إلى الأميين (٢).

تنبيه هام:

فلنلاحظ القارئ الفطن إلى ما أشارت إليه هذه الصّحيفة من أنّ أهل مكّة كانوا يكتبون، فهم كانوا عارفين بالقراءة والكتابة، وخبر الشيخين (٣) (البخاري ومسلم) عن ابن عمر يشير إلى أنّ النبي كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، فأيهما أحقّ بالتصديق ابن عمر أم معاوية بن عمار الثقة الجليل؟ فالأميون بمقتضى هذه الصّحيفة هم الذين ليس لهم كتاب.

(الخبر الرابع): معتبرة جعفر بن محمد:

الصدوق في العلل عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن أبي عبد الله محمد بن خالد البرقي، عن جعفر بن محمد الصوفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن عليّ الرضا عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله لم سُمّي النبي صلى الله عليه وآله الأمي؟ فقال: ما تقول الناس؟ قلت: يزعمون أنّه إنما سمي الأمي لأنّه لم يحسن أن يكتب، فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله، أتى ذلك والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، فكيف يعلمهم ما لا يحسن؟ والله لقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو قال: بثلاثة وسبعين لساناً، وإِنَّمَا سُمِّيَ الْأُمِّيَّ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَمَكَّةَ مِنْ أَمْهَاتِ الْقُرَى وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عز وجل: ﴿لَتَنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (١).

لقد أشكل على الرواية بضعف سندها بجعفر بن محمد الصوفي، وصرّح الشيخ السبحاني بأنه مهمّل في التراجم فالحديث ساقط عن الحجية (٢).

والجواب من وجوه:

(الأول): عدم وجود ذكر له في المعاجم لا يستلزم القدح فيه، بل هو أعمّ من ذلك.

(الثاني): بما أنّ الراوي عنه ثقة عادل فيقتضي ذلك وثاقته، إذ من البعيد جداً أن يروي الثقة عن المجهول أو الضعيف، ودعوى أنّ البرقي يروي عن المراسيل والضعفاء مردودة وليست قاعدة في طرح

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٣٢ ح ٦٨. والبرهان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٣٧٥ ح ١٠٧٢١. وتفسير القمي: ج ٢، ص ٣٨٠/سورة الجمعة.

(٣) روى الآلوسي في روح المعاني/سورة الأعراف، الآية ١٥٨ أنّ ابن عمر قال: قال رسول الله: "إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ"، وهو خبرٌ أخذ به مشهور العامة، وخالف بعضهم ومنهم الآلوسي حيث روى عن مجاهد قوله: حدّثني عون عن عبد الله بن عتبة عن أبيه قال: ما مات النبي حتى قرأ وكتب، فذكرت ذلك للشعبي فقال: صدق سمعت أصحابنا يقولون ذلك.

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٣٢ ح ٧٠. وعلل الشرائع: ج ١، ص ١٥١ باب ١٠٥ ح ١. والبصائر: ج ٥ ص ٢٤٥ ح ١.

(٢) معالم النبوة: ص ٣٢٧.

الأحاديث المروية عنه، فروايتها عن الضعفاء والمراسيل لا تضرّ بوثاقة البرقي كما أفاد ذلك صاحب المعالم والمدارك والذخيرة (٣)، والظاهر عندي أنّ الثقة لا يروي إلاّ عن ثقة، وإلاّ لو احتُملَ في حقّه الرواية عن المجاهيل لأدّى ذلك إلى سقوط وثاقته والتشكيك فيها، في حين ورد النهي عن التشكيك بثقات رواهم (لا عذر لأحدٍ من مواليها في التشكيك فيما يرويه عنّا ثقاتنا)، مضافاً إلى أنّ التشكيك في الثقة يخالف الأدلّة على حجّية قول الثقة.

(الثالث): إنّ مضمون الحديث مؤيّد بالأخبار الأخرى التي سبقته وغيرها من الأخبار الدالة على أنّ رسول الله كان يقرأ ويكتب بإثنين وسبعين لساناً (١).

فهذه الأخبار من جملة القرائن المتعدّدة الدالة على صحّة الحديث، مضافاً إلى أنّ ثمة مسلّك في علم الرجال يدلّ على أنّ الحجّية في كلّ خبرٍ هي كونه موثوق الصدور عن المعصوم (عليه السلام)، وليست الحجّية بخصوص خبر الثقة، وحيث إنّ دلالة الخبر موثوقة الصدور لوجود قرائن تثبت صحتها، فيكون الخبر حجّةً فيضحّ الأخذُ به.

(الرابع): لعلّ "الصوفي" تصحيف "الصيرفي" وهو الأحول جعفر بن محمد بن يونس الثقة الجليل ومن أصحاب الإمامين الرضا والجواد (عليهما السلام)، وروى عنه أحمد بن محمد بن عيسى، ولا يبعد وجود تحريفٍ في لقبه لتضعيف الرواية، لا سيّما وأنّ بني أمية تلاعبوا بالأحاديث لصرفها عن فضائل النبي الأكرم وآله الطاهرين (عليهم السلام)، فلوجود مشابهة بين الصيرفي والصوفي، ارتأوا وضع الثاني محلّ الأوّل، وبذا يكون قد تحقّق مبتغاهم، وعليه؛ فإن الرواية معتبرة ولا إشكال فيها من ناحية السند، ومن ناحية الدلالة لموافقها لصحيفة يحيى الحلبي (٢) عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ قال: بكلّ لسان (٣). ومما يؤكّد ما قلنا أنّ البحراني أثبت لفظ الصيرفي بدلاً من الصوفي (٤).

وهل يُعقل أنّ يتكلّم بكلّ لسانٍ إفرنجيّ وهنديّ وسنديّ وصينيّ ولا يجيد قراءة وكتابة لغته الأصلية التي هي لغة أهل الجنّة، لا لشيءٍ إلاّ لأجل قلع جذور الشكّ عن قلوب المبطلين لقرآنه؟! لست أدري كيف تجرّأ على القول بهذا من يظنّ نفسه أنّه قريبٌ من إمام زمانه كقصاب قوسين أو أدنى أو يرى من

(٣) راجع منتهى المقال: ج٦، ص٤٢؛ ترجمة البرقي.

(١) أشار صاحب البحار إلى عدّة أخبارٍ تدلّ على أنّ النبي ﷺ كان يتكلّم بكلّ لسانٍ (راجع: بحار الأنوار: ج١٦، ص١٣١ ح٦٥ وج٢٦ ص١٩٠/باب أنّ الأئمة يعلمون جميع الألسن، وما عندهم ثابت لرسول الله أيضاً؛ فتأقّل).

(٢) قال النجاشي: يحيى الحلبي؛ كوفي ثقة ثقة، صحيح الحديث، له كتاب يرويه جماعة، وطريق الشيخ إليه صحيح وعدّه من أصحاب أبي الحسن الرضا (عليه السلام). (راجع: النجاشي: ج٢، ص٤١٧).

(٣) بحار الأنوار: ج١٦، ص١٣١ ح٦٥.

(٤) راجع تفسير البرهان: ج٢، ص٤٥١ ح٣٥٦٥/سورة الأنعام: ٩١-٩٢.

نفسه أنه من حجج إمام الزمان وهو في نفس الوقت ينفي عنه لايته العلمية والأدبية والإنشائية على
عامّة العرب والعجم!!!

(الخبر الخامس): موثقة عبد الرحمن بن الحجاج:

روى الصفار عن الحسن بن علي بن النعمان، عن أحمد بن هلال عن خلف بن حماد عن عبد
الرحمان بن الحجاج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ وَيَقْرَأُ مَا لَمْ
يَكْتُبُ (١)**.

وهذا الخبر — حتى ولو كان ضعيفاً بأحمد بن هلال — فإنه مجبور بالخبرين الأولين الصحيحين —
خير هشام وأبان — فيكون معتبراً ومقبولاً.

(الخبر السادس): خير أبان بن أبي عياش:

روى المحدث هاشم البحراني عن محمد بن العباس، عن محمد بن القاسم، عن عبيد بن كثير، عن
حسين بن نصر بن مزاحم، عن أبيه، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين عليّ
عليه السلام قال: **"نحن الذين بعث الله فينا رسولاً يتلو علانينا آياته ويذكرنا ويعلمنا الكتاب والحكمة" (٢)**.

وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ المراد من "الأميين" الواردة في سورة الجمعة هم المؤمنون الموحدون من بني
هاشم وأتباعهم، وكان ذلك قد فُدح في روعنا من أنه من بطون الآية المباركة في سورة الجمعة إلى أنّ
هدانا الله تعالى إلى هذا الخبر خلال تنقيبنا في الأخبار؛ والله الممد ولآله المنّة والفضل.

(الخبر السابع): موثقة علي بن أسباط:

علل الشرائع: ابن الوليد، عن سعد، عن الخشاب، عن علي بن حسان وعلي بن أسباط و غيره رفعه
عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكتب ولا
يقرأ فقال: كذبوا لعنهم الله، أنى يكون ذلك؟ وقد قال الله عز وجل: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ
رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ﴾** فيكون يعلمهم الكتاب والحكمة، وليس يحسن أن يقرأ أو يكتب؟ قال: قلت: فلم سمي النبي
الأمي؟ قال: نسب إلى مكة وذلك قول الله عز وجل: **﴿لَتَنْذِرُ أُم الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾** فأم القرى مكة،
فقيل: أمي لذلك. بصائر الدرجات: عبد الله بن محمد، عن الخشاب (١).

(١) بصائر الدرجات: ج ٥، ص ٢٤٧ ح ٥٠. و بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٤٣ ح ٧٤.

(٢) تفسير البرهان: ج ٥، ص ٣٧٥ ح ١٠٧٢٠.

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٣٣ ح ٧١.

وأشكِل على الرواية بأنها مرفوعة، لكنّ العياشي^(٢) رواها من ون عبارة " وغيره رفعه" مما يعني أنّ هذه العبارة زيدت على علل الشرائع ونقلها عنه صاحب البحار، وهكذا رويت من دون هذه الزيادة في تفسير البرهان^(٣) ممّا يدعونا للإطمئنان بأنّها ليست مرفوعة، وعلى فرض كونها مرفوعة لا يمنع من الأخذ بها لكونها مؤيَّدة بالأخبار الأخرى كما أشرنا سابقاً.

(الخبر الثامن): صحيحة البنزطي:

في العلل عن سعد بن عبد الله قال: حدّثني معاوية بن حكيم عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر عن بعض أصحابه عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان ممّا منّ الله (صلى الله عليه وآله) على رسوله (صلى الله عليه وآله) أنّه كان يقرأ ولا يكتب، فلمّا توجه أبو سفيان إلى أحد كتب العباس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة، فقرأه ولم يخبر أصحابه وأمرهم أن يدخلوا المدينة فلمّا دخلوا المدينة أخبرهم^(٤).

(الخبر التاسع): موثقة الحريش:

روى الكليني بإسناده إلى محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد جميعاً عن الحسن بن العباس بن الحريش عن مولانا الإمام أبي جعفر الثاني (عليه السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: كان عليّ كثيراً ما يقول: ما اجتمع التيمي والعدوي عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقرأ: ﴿إنا أنزلناه﴾ بتخشع وبكاء فيقولان: ما أشد رقتك لهذه السورة؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: لما رأيت عيني ووعا قلبي، ولما يرى قلب هذا من بعدي فيقولان: وما الذي رأيت وما الذي يرى قال: فيكتب لهما في التراب ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ قال: ثم يقول: هل بقي شيء بعد قوله عز وجل: ﴿كل أمر﴾ فيقولان: لا، فيقول: هل تعلمان من المنزل إليه بذلك؟ فيقولان: أنت يا رسول الله، فيقول: نعم، فيقول: هل تكون ليلة القدر من بعدي؟ فيقولان: نعم، قال: فيقول: فهل ينزل ذلك الأمر فيها؟ فيقولان: نعم، قال: فيقول: إلى من؟ فيقولان: لا ندرى، فيأخذ برأسي ويقول: إن لم تدري فادريا، هو هذا من بعدي قال: فإن كانا ليعرفان تلك الليلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من شدة ما يداخلهما من الرعب^(٥).

سند الرواية ضعيف على المشهور بالحسن بن العباس، ونحن لا نلتفت إلى تضعيفهم وذلك لعدم وجود مستند على تضعيفه سوى رواية هذه الأخبار العالية المضامين، فهو كغيره من الرواة الثقات الذين رموا بالضعف في قم من أجل روايتهم لأخبار الفضائل العالية، من هنا قال العلامة المجلسي (عليه السلام) تعقيباً على السند: [الحديث ضعيف على المشهور بالحسن بن العباس، لكنّ يظهر من كتب الرجال أنّه لم

(٢) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٤ ح ٨٦ / سورة الأعراف: ١٥٧.

(٣) تفسير البرهان: ج ٢، ص ٥٩٤ ح ٤٠٠٩.

(٤) علل الشرائع: ج ١، ص ١٥٢ ح ٥٥. وبحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٣٣ ح ٧٢.

(٥) أصول الكافي: ج ١، ص ٢٤٩ ح ٥٥.

يكن لتضعيفه سبب إلا رواية هذه الأخبار العالية الغامضة التي لا تصل إليها عقول أكثر الخلق، والكتاب^(٢) كان مشهوراً عند المحدثين وأحمد بن محمد بن محمد روى هذا الكتاب مع أنه أخرج البرقي عن قم بسبب أنه كان يروي عن لضعفاء، فلو لم يكن هذا الكتاب معتبراً عنده لما تصدّى لروايته، والشواهد على صحته عندي كثيرة... [٣].

وثمة أخبار أخرى كثيرة تشهد على علم رسول الله ﷺ، من جملتها الحديث المشهور في الصحاح والتواريخ عن النبي ﷺ أنه قال: إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، كما إنّه صدرت عنه الكتابة عام صلح الحديبية عندما محى لقب رسول الله من دون استعانة بأحدٍ على الإطلاق، ودعوى أنّ أمره بإتيان الدواة والكتف ليكتب له غيره ما أراد، مردودة فلا يُصار إليها إلا بقرينة قطعية وهي مفقودة في البين؛ فتأمل.

والخلاصة:

ما روينا من تلكم الأخبار الصحيحة سنداً ودلالةً كافية ووافية في إثبات معرفته ﷺ بالقراءة والكتابة، والرأي المعاكس هو شاذٌّ لا يُعوّل عليه لمخالفته للقواعد والنصوص التي أشرنا إليها، وكان بودّنا الإطالة أكثر للنقد التفصيلي على ما أورد بعض الأعلام في كتابه "معالم النبوة" لكنّ ذلك يُخرج البحث عن طوره المقتضب، وسوف نتعرض لشبهاته واحدة تلو الأخرى إن وهبنا الله تعالى الحياة، وما ذلك إلا غيرةً وحميةً على صاحب الولاية الكبرى الذي كان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: "٤١٣.٣٣٦ هـ":

[إنّ الله تعالى لما جعل نبيّه ﷺ جامعاً لخصال الكمال كلّها وخلال المناقب بأسرها لم تنقصه منزلة بتمامها ليصح له الكمال، ويجتمع فيه الفضل والكتابة، فضيلةٌ من منحها فضل، ومن حرمها نُقص.

ومن الدليل على ذلك أنّ الله تعالى جعل النبي ﷺ حاكماً بين الخلق في جميع ما اختلفوا فيه، فلا بُدّ أن يعلمه الحكم في ذلك، وقد ثبت أن أمور الخلق قد يتعلّق أكثرها بالكتابة فتثبت بها الحقوق، وتبرأ بها الذم وتقوم بها البيّنات وتحفظ فيها الديون، وتحاط بها الأنساب، وأنها فضل تشرف المتحلّي بها على العاقل منها، وإذا صحّ أن الله جلّ اسمه قد جعل نبيّه بحيث وصفناه من الحكم والفضل ثبت أنه كان عالماً بالكتابة محسناً لها.

وشيء آخر وهو أنّ النبي لو كان لا يحسن الكتابة ولا يعرفها لكان محتاجاً في فهم ما تضمنته الكتب من العقود وغير ذلك إلى بعض رعيّته، ولو جاز أن يجوجه الله في بعض ما كلّفه الحكم فيه إلى

(٢) يقصد بالكتاب أنّ ابن حريش كان له كتاب "ثواب قراءة إنّنا أنزلناه في ليلة القدر" / لاحظ منتهى المقال: ج ٢، ص ٤٠١.

(٣) مرآة العقول: ج ٣، ص ٦١، باب في شأن إنّنا أنزلناه في ليلة القدر.

بعض رعيته لجاز أن يوجه في جميع ما كلفه الحكم فيه إلى سواه وذلك منافٍ لصفاته ومضاداً لحكمة باعته، فنبت أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يحسن الكتابة.

وشيء آخر وهو قول الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٣]، ومحال أن يعلمهم الكتاب وهو لا يحسنه كما يستحيل أن يعلمهم الحكمة وهو لا يعرفها، ولا معنى لقول من قال: «إنَّ الكتاب هو القرآن خاصّة» إذ اللفظ عامّ والعموم لا ينصرف عنه إلاّ بدليل، لا سيّما على قول المعتزلة وأكثر أصحاب الحديث^(١).

وقال الشيخ الطوسي رحمته الله (٣٨٥_٤٦٠هـ):

[قال المفسرون: إنّه لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يحسن الكتابة، والآية وهي: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ لا تدلّ على ذلك، بل فيها إنّه لم يكن يكتب الكتاب وقد لا يكتب الكتاب من يحسنه كما لا يكتب من لا يحسنه، وليس ذلك بنهي، لأنه لو كان نهيّاً لكان الأجود أن يكون مفتوحاً... ثمّ بيّن تعالى أنّه لم يكتب، لأنه لو كتب لشكّ المبطلون في القرآن...]^(٢).

وقال الشيخ المجلسي رحمته الله (١٠٣٧.١١١٠هـ):

تحت عنوان "بيان"؛ قال رحمته الله: [يمكن الجمع بين هذه الأخبار بوجهين: الأول أنه صلى الله عليه وآله كان يقدر على الكتابة، ولكن كان لا يكتب، لضرب من المصلحة، الثاني أن نحمل أخبار عدم الكتابة والقراءة على عدم تعلمها من البشر، وسائر الأخبار على أنه كان يقدر عليهما بالاعجاز، وكيف لا يعلم من كان عالماً بعلوم الأولين والآخرين، إن هذه النقوش موضوعة لهذه الحروف، ومن كان يقدر بإقدار الله تعالى له على شق القمر وأكبر منه كيف لا يقدر على نقش الحروف والكلمات على الصحائف والألواح؟ والله تعالى يعلم.]^(٣).

وقال السيد المرتضى رحمته الله:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] الآية، ظاهرها يقتضي نفي الكتابة والقراءة بما قبل النبوة دون ما بعدها، ولأنّ التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة، لأنهم إنما يرتابون في نبوته لو كان يحسنها قبل النبوة، فأما بعدها فلا تعلق له بالرؤية، فيجوز أن يكون تعلّمهما من جبرائيل بعد النبوة قال الشعبي وجماعة من

(١) المفيد، أوائل المقالات: ص ١٣٥.

(٢) التبيين في تفسير القرآن: ج ٨، ص ٢١٦/سورة العنكبوت، الآية الثامنة والأربعون.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٣٤، باب معنى كونه عَلَيْهِ السَّلَامُ أمياً وأنه كان عالماً بكلّ لسان.

أهل العلم: ما مات رسول الله حتى كتب وقرأ، وقد شهر في الصحاح والتواريخ قوله ﷺ: «إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً».

وقال المولى محمد صالح المازندراني رحمته الله المتوفى عام ١٠٨١هـ:

عند شرحه للرواية الخامسة من روايات باب شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر؛ قال: [قوله ﷺ]: (فيكتب لهما في التراب) دلّ على أنه ﷺ كان يكتب، وهذا من إعجازه لأنه لم يتعلم الكتاب وقد علمها... [١].

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمته الله (١٢٩٤-١٣٧٣هـ):

«إنّ النبي كان أمياً بمعنى أنه ما كان يقرأ ويكتب لا أنه لا يعرف القراءة والكتابة وكونه أمياً بهذا المعنى، أي عدم تعاطيه للقراءة والكتابة عليه إجماع المسلمين ومنصوص عليه في القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ولكن لم يثبت من الإجماع ولا من الكتاب أنه لم يكن يعرف الكتابة والقراءة بحيث يكون فاقداً لهذا الكمال، ومن هنا تبين معنى كونه أنه ليس بأمي أي أنه يعرفها فهو مصيب، لكن ليس معنى هذا أنه كان يكتب ويقرأ لأنّ ذلك مخالف لنص الآية المتقدمة.

والخلاصة: إنّ النبي ﷺ كان حائزاً لكمال الكتابة والقراءة من حيث الملكة والقدرة لأنّ النبي ﷺ يلزم أن يكون متصفاً بجميع صفات الكمال، بل يلزم أن يكون أكمل أهل زمانه، ولا ريب أنّ الكتابة والقراءة كمال، وفقدتها نقص، ولكن مصلحة التبليغ ورعاية الإعجاز في محيطه وزمانه اقتضت حسب الحكمة أن لا يتعاطها تكميلاً للمعجزة» (١). ونحن نزيد على ما قالوا بأنّ:

[الرسول الأكرم ﷺ كغيره من الأنبياء والأولياء ﷺ لم يتعلموا على أيدي الآخرين سواء أكانوا ملائكة أم بشرًا، بل خلقهم الله تعالى كاملين بالنسبة إلى رعيّتهم وإلا أدى نقصهم إلى تعييرهم والتعيين عليهم، لذا اقتضت الحكمة أن يكون النبي الأكرم ﷺ عالماً بالقراءة والكتابة ولكنّه لم يتعاطها كما أفاد قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فعدم الوقوع شيء، وعدم الإمكان شيء آخر، فعدم وقوعها فعلاً من النبي الأعظم لا يعني بالضرورة عدم إمكانها، ومن قال بعدم معرفته بما خلط بين الأمرين، فجعل عدم التعاطي هو نفسه عدم الإمكان وهو قصور ما كنّا نتصوره من علماء معروفين بالحجى والفهم...!!].

والحاصل: ليس ثمة آية أو رواية تثبت جهل النبي الأعظم ﷺ بهما، وما إدعى من الآيات التي ظهرها نسبة الأمية إليه، فلا تُحمّل على ظاهرها، بل يؤوّل بسبب كونها متشابهة المعنى، فهي بحاجة إلى

(١) شرح أصول الكافي/ج٦، ص١٢، كتاب الحجّة، باب شأن إنا أنزلناه، ح٥.

(١) محمد حسين كاشف الغطاء، جنّة المأوى: ص٢٥-٢٦.

الأدلة المحكمة الصارفة لها عن تشابها وقد أثبتنا فيما مضى وجود أخبارٍ صريحةٍ تدلّ على غير ما أرادته المثبتون لجهل النابيّ ﷺ بهما.

مضافاً إلى أنّ المسألة تدخل في صميم كيان الرسول الأكرم ﷺ، فالقول بأنّه كان جاهلاً يقتضي إدخال النقص إلى ذاته الشريفة، مع أنّ الله تعالى جعله أكمل خلقه، وقد نَزَّهه تعالى في آية التطهير عن الجهل بكلّ أقسامه وأزمانه من دون تخصيصٍ لفترةٍ زمنيّةٍ على أخرى، مع التأكيد على أنّ النافين عن النبي ﷺ علمه بالقراءة والكتابة قد اعتمدوا على المعنى اللغوي دون اللجوء إلى المعنى البياني الوارد في الأخبار الشريفة، وهذا يُعتَبَرُ فشلاً علمياً عند مَنْ يعتقد به، فلفظ الأُمِّي والحج فإنها ألفاظ مجتمعة لاحتمال الصلوة لكلّ دعاء والصيام لكلّ إمساك والحجّ لكلّ قصدٍ والمراد بها لا تدلّ عليه اللغة بل لا بدّ له من بيان آخر شرعيّ يوضّحه المعصوم (عليه السلام)، وهكذا فإنّ كلمة "أُمِّي" نظير الصلاة والصوم والحجّ فإنها تفتقر إلى البيان، وهذا ما بيّنته ووضّحته أخبارنا المقدّسة التي أعرض عنها بعضُ الأعلام قصوراً أو تقصيراً... فما أوضحناه هو الحقّ المبين.

وهذا هو الحقّ الحقيقي، وبه يمكن الجمع بين الآيات والأخبار التي ظاهرها نسبة الأُمِّي إليه ﷺ.

السؤال الثالث: كم كان عمر السيدة الطاهرة مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام والرضوان يوم زواجها واستشهادها؟ .

بسمه جلّت أسماؤه

الجواب: الجمع عليه بين أعلام الطائفة أن عمرها الشريف يوم شهادتها كان ثمانية عشرة عاماً والنصوص الشريفة منها ما رواه الكلين أعلى الله مقامه في الكافي بإسناده الصحيح عن بُدِّ اللّهِ عَنْ جَعْفَرٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ جَمِيعاً عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهْرَبَارَ عَنْ أَحِيه عِلِّيِّ بْنِ مُهْرَبَارَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ حَبِيبِ السَّجِسْتَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ وُلِدَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ص - بَعْدَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللّهِ بِخَمْسِ سِنِينَ وَتُوُفِّيَتْ وَلَهَا ثَمَانُ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ يَوْمًا .

وروى المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار بإسناده عن كتاب دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري الامامي ، عن أبي المفضل الشيباني ، عن محمد بن همام ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن أحمد بن محمد بن عيسى

عن عبد الرحمان بن أبي نجران ، عن ابن سنان ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: « ولدت فاطمة في جمادى الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبي (صلى الله عليه وآله) فأقامت بمكة ثمان سنين وبالمدينة عشر سنين وبعد وفات أبيها خمسا وسبعين يوماً وقبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة .»

وفي كشف الغمة : ذكر ابن الخشاب ، عن شيوخه يرفعه ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: « ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوة نبيه وأنزل عليه الوحي بخمس سنين وقريش تبني البيت وتوفيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعين يوماً » .

وفي رواية صدقة ثماني عشرة سنة وشهر وخمسة عشر يوماً وكان عمرها مع أبيها بمكة ثماني سنين ، وهاجرت إلى المدينة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأقامت معه عشر سنين وكان عمرها ثماني عشرة سنة فأقامت مع علي أمير المؤمنين بعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً وفي رواية أخرى أربعين يوماً .

لقد عاشت هذه الحرة الزكية روعي فداها مدة قصيرة ثمانية عشرة سنة ولكنها مليئة بالطهر والقداسة والجهاد في سبيل الله وهي أرواحنا فداها هي الحافظة - بأمر خاص من الله تعالى ولعمومات وجوب الحفاظ على الولاية ولشدة محبتها لزوجها الطاهر الإمام الأعظم سيدنا علي بن أبي طالب سلام الله عليهم جميعاً - زوجها أمير المؤمنين سلام الله عليهما ولولاها لكان قضى القوم على أمير المؤمنين سلام الله عليه فلها الفضل في حفظ الإمام الأكبر كما لها الفضل في حفظ الولاية والإمامة الإلهية التي أراد القوم الظالمين طمسها والقضاء عليها فوقفت بوجههم بكل صلابة وبطولة وشجاعة مع كونها امرأة ضعيفة ولكنها تعادل عامة الرجال باليسالة والجهاد. فما أروعها أنثى طاهرة تصدت للجباية ولذلك فإن تصديها (سلام الله عليها) لمثل تلك الحالة ، إنما كان للحيلولة دون تحقق النتائج الخطيرة والمتوقعة من أولئك الطواغيت الذين قضوا عليها بعدما فشلوا في محاولتهم قتل أمير المؤمنين سلام الله عليهما... فسلام الله عليها ولعن الله قاتلها عمر بن الخطاب وفصيله أبا بكر وقتلوا وحالداً وعائشة وحفصة... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حررها عيد الولاية الكبرى الزهراء البتول سلام الله عليها

محمد جميل حمود العاملي - بيروت بتاريخ ٨ شعبان ١٤٣٥ هـ.